السيرة الدرس الثالث بدأ القتال

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه، والتابعين إلى يوم الدين، طلابنا الكرام، مرحبا بكم في درس السيرة النبوية الشريفة، على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم. السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. استكمالا منا لقضية بدء القتال، فقد عاش المسلمون في العهد المكي تضييقا شديدا من قبل صناديد قريش وكبرائها، فقاموا بتعذيبهم والتنكيل بهم، ومارسوا معهم كل أساليب الاضطهاد الديني والتعذيب الوحشي، حتى فقدوا بعضهم وأكلوا أوراق الشجر، وعاشوا حياة مليئة بالمصاعب والإعلام، وحتى بعد الهجرة قامت قريش بالاستيلاء على جميع ممتلكات المهاجرين. ديارهم وأموالهم، وليس أدل على ذلك من تجريدهم لأموال صهيب الروم، يا رتق الله عنه، حتى إذا تم استقرار المسلمين في المدينة، واستتب لهم الأمر، أذن الله تعالى لهم بالقتال لمن ظلمهم وبغى عليهم، قال الله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا فأعلنت الحرب على قريش ورجالاتها منذ تلك اللحظة، ومعلوم أن الحروب تأخذ أشكالا عديدة. يأتي في مقدمها ما يسمى بلغة عصرنا الحرب الاقتصادية، فلهذا كان المسلمون يتعرضون لقوافل قريش، ويقطعون طريقها. ويقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ والضغط الاقتصادي من الأساليب التي لها آثار إستراتيجية في الصراع بدراسة الأعمال العسكرية التي تمت خلال العامين الأول والثاني للهجرة إلى ما قبل غزوة بدر، يتضح أن هدفها الغالب هو التعرض لقافلة قريش على طريق تجارتها من مكة إلى الشام، مما شكل ضغط

اقتصاديا على قريش التي أدركت أن هذا الطريق أصبح محفوفا بالمخاطر. وخاصة بعد أن عقد الرسول صلى الله عليه وسلم الاتفاقات والمعاهدات مع القبائل العربية. وأبلغ تعبير عن آثار هذا الضغط الاقتصادي قول صفوان بن أمية لقومه إن محمدا وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم، ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه، أكلنا رؤوس أموالنا، لم يكن لها من بقاء. وإنما حياتنا بمكة على تجارة الشام في الصيف، وإلى الحبشة في الشتاء، ويؤكد ما سبق. ما رواه الإمام الطبراني في معجمه أن أبا جهل قال في معرض كلامه عن سرية سيف البحر يا معشر قريش، إن محمدا قد نزل يثرب، وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئا، فاحذروا أن تمروا طريقه، وأن تقاربوه، فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق عليكم، وهكذا أعادت قريش النظر في صراعها مع المسلمين بعد تلك الضربات الموجعة. أي إن نظرة الاستهانة بالمسلمين قد ولت وأدبرت، وأخذت قوتهم بعين الاعتبار. وما كان ذلك إلا إنذارا لقريش عقبة طيشها، حتى تفيق عن غيها الذي لا يزال يتوغل في أعماقها، وعلها تشعر بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معاشها، فتجنح إلى السلب، وتمتنع عن إرادة قتال المسلمين في عقر دارهم، وعن الصد عن سبيل الله، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة، حتى يصير المسلمون أحرارا في إبلاغ رسالة الله في ربوع الجزيرة، ولم تكن تلك الضربات هي المعتمد. لدى المسلمين، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إنشاء سوق منافسة لسوق اليهود في المدينة، وسرعان

ما ازدهرت تلك الحركة التجارية لتصبح موردا قويا لتلك الدولة الناشئة، وكانت هناك صولات شبه قتالية بين المسلمين، وكفار قريش قبل غزوة بدر المصيرية، وكان منها أولا سرية سيف البحر في رمضان سنة واحد هجري، وقائدها حمزة بن عبد المطلب. وبعثه في 30 رجلا من المهاجرين. يعترضون عيرا لقريش، جاءت من الشام، وفيها أبو جهل لابن هشام في 300 رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجد بن عمرو الجني، وكان حليفا للفريقين جميعا بين هؤلاء وهؤلاء، حتى حجز بينهم، فلم يقتتلوا، وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبيض، وحمله أبو مرثد ثانيا، سرية رابغ في شوال من سنة واحد من الهجري الموافق. لأبريل سنة 32 و600 ميلادي بعث لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عبيد بن الحارث بن المطلب في 60 رجلا من المهاجرين، فلقي أبا سفيان وهو في ميتين على بطن رابغ، وقد تراما الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال، وفي هذه السرية انضم رجلان من جيش مكة إلى المسلمين، وهما المقداد بن عمر، وعتبة بن غزوان، وكان مسلمين. خرجا مع الكفار ليكون ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين، وكان للوائع عبيدة أبيض، وحامله مصلح بن أثاث، ابن المطلب بن عبد مناف، ثالثا سرية الخرار في ذي القعدة سنة واحد هجري، وعليها سعد بن أبي الوقاص في 20 رجلا يعترضون عيرا لقريش، وعاهد إليه ألا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل. حتى بلغوا الخرارة صبيحة خميس، فوجدوا العيرة قد مرت بالأمس، وكان لواء سعد رضي الله عنه أبيض رابعا، غزوة الأبواء، أو ودان في سفر

إثنـان هجـري، خـرج رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فيهـا بنفسـه في 70 رجلا من المهاجرين خاصة، يعترض عيرا لقريش، حتى بلغ ودان، فلم يلق كيدا، واستخلف فيها على المدينة سعد بن عبادة رضـي الله عنـه، وفي هـذه الغـزوة عقـد معاهـدة حلـف مـع أمري سيد بني، وهذه أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت غيبتـه 25 ليلة، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب غزوة بوات، هي الخامسة في شهر ربيع الأول، إثنان هجري، الموافق لسـبتمبر سـنة 23 و600 ميلادي، خـرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ميتين من أصحابه. يعترض عيرا لقـريش فيهـا أمي بن خلـف الجمحي و100 رجـل من قـريش. و2500 بعـير، فبلـغ من ناحيـة رضوى، ولم يلقى كيدا، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سـعد بن معـاذ، واللـواء كان أبيض، وحـاملوه سـعد بن أبي الوقـاص رضـي الله عنـه، السـادس الغـزوة سـفوان إثنان هجري، أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشـركين على مـراعي المدينة، وناهب بعض المواشي، فخرج رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم في 70 رجلا أصحابه لمطاردته. حتى بلغ وادي يقال له سفوان من ناحية بدر. ولكنه لم يدرك جلسـا وأصحابه، فرجع من دون حرب، وهذه الغـزوة تسـمى بغـزوة بـدر الأولى، واسـتخلف في هذه الغزوة على المدينة زيدان بن حارثة، وكان اللـواء أبيض وحاملـه علي بن أبي طالب سابعا غزوة ذي العشيرة إثنـان هجـري، خـرج فيهـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم في 50 و100، ويقال في ميتين من المهـاجرين، ولم يكـره أحـدا على الخـروج، وخرجوا على 30 بعيرا يعتقدونها، يعترضـون عـيرا لقـريش ذاهبـة. وقـد جـاء الخـبر

بفصولها من مكة فيها أموال لقريش، فبلغ ذا العشيرة، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام، فصارت سببا لغزوة بدر الكبرى، وكان اللواء أبيض، وحامله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ثامنا سرية نخلة إثنان هجري، سار عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمر تعير لقريش تحمل زبيبا. عدما وتجارة، فتشاور المسلمون، وقالوا نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم وانتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة، تدخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء، فرم أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول عسيرين في الإسلام. وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلوه، وقال ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين، ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسما هذه الأقاويل، وأن ما عليه المشركون أكبر وأعظم مما ارتكبه المسلمون، يسألونك عن الشهر الحرام قتالا ما فيه، قل قتال، وما فيه كبير، وصد على سبيل الله. وكفر به، والمسجد الحرام، وإخراج أهله منه أكبر عند الله. والفتنة أكبر من القتل، فقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الربا في سيرة المقاتلين المسلمين، لا مساغ لها، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام، واضطهاد أهله، ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أمواله وقتل

نبيهم؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة، لا جرم أن الدعاية. أخذ ينشرها المشركون دعاية تبتني على وقاحة، وبعد ذلك أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين، وأدى دية المقتول إلى أوليائه، تلكم السرايا والغزوات. قبل بدر، لم يجري في أحد منها سلب الأموال، وقتل الرجال إلا بعد ما ارتكبه المشركون بقيادة كرز بن جابر الفهري، فالبداية إنما هي من المشركين مع ما كانوا قد أتوه قبل ذلك من الأفاعيل. وبعد وقوع ما وقع في سرية عبد الله النجاح، تحقق خوف المشركين، وتجسد أمامهم الخطر الحقيقي. ووقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه، وعلموا أن المدينة في غاية من التيقظ والتربص، تترقب كل حركة من حركاتهم التجارية، وأن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا إلى 300 ميل تقريبا، ثم يقتل ويأسر رجالهم ويأخذ أموالهم، ويرجع سالمين غانمين، وشعر هؤلاء المشركين بأن تجارتهم إلى الشام أمام خطر دائم. لكنهم بدل أن يفيقوا عن غيهم، ويأخذوا طريق الصلاح والموادعة، كما فعلت جهينة وبنو ذمرة، ازدادوا حقدا وغيضا، وسمم صناديدهم وكبرائهم على ما كانوا يتوعدون ويهددون به من قبل من إبادة المسلمين في عقر دارهم، وهذا هو الطيش الذي جاء بهم إلى بدر، أما المسلمون فقد فرض الله عليهم القتال بعد وقعة سرية عبد الله بن جحش في شهر شعبان سنة إثنان هجري، وأنزل في ذلك آيات بينات وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم. والفتنة أشد من القتل، وذم الله الذين اتفقت أفئدتهم ترجف، وتخفق حين سمعوا الأمر بالقتال،

فإذا أنزلت صورة من محكمة وذكر فيها القتال، رأيت الذين في قلوبهم مرض، ينظرون إليك، نظر المغشي عليه من الموت، وإيجاب القتال، والحظ عليه، والأمر بالاستعداد له، هو عين ما كانت تقتضيه الأحوال، فالظروف كانت تقتضي عراكا داميا بين الحق والباطل. وكانت وقعت سرية عبد الله بن جحش ضربة قاسية على غيرة المشركين، وحميتهم آلمتهم، وآيات الأمر بالقتال بالقتال تدك بفحواها على قرب العراك الدامي. وأن النصر والغلبة فيه للمسلمين نهائيا. انظر كيف يأمر الله والمسلمين بإخراج المشركين من حيث أخرجوهم، وكيف يعلمهم أحكام الجند المتغلب في الآثار والإثخان في الأرض، حتى تضع الحرب أوزارها، هذه كلها إشارة إلى غلبة المسلمين نهائيا، ولكن ترك كل ذلك مستورا، حتى يأتي كل رجل بما فيه من التحمس في سبيل الله. وفي هذه الأيام، في شعبان، سنة إثنان هجري، أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وأفاد ذلك أن الضعفاء والمنافقين من اليهود الذين كانوا قد دخلوا صفوف المسلمين لإثارة البلبلة. انكشفوا عن المسلمين، ورجعوا إلى ما كانوا عليه، وهكذا تطهرت صفوف المسلمين عن كثير من أهل الغدر والخيانة، ولعل في تحويل القبلة إشارة لطيفة إلى دنو استرجاع المسلمين لقبلتهم، أو ليس من العجب أن تكون قبلة قوم بيد أعدائهم؟ وبهذه الأوامر والإشارات زاد نشاط المسلمين، واشتد شوقهم إلى الجهاد في سبيل الله. ولقاء العدو في معركة فاصلة لإعلاء كلمة الله. ونستخلص من ذلك وجود ثمان بين السرية والغزوة قبل معركة بدر الكبرى، نكتفي بهذا القدر إلى أن نلتقي في درس جديد أستودعكم الله، السلام عليكم ورحمة الله تعالى

وبركاته.